جريدة الانوار
١٠ أيار ٢٠٠٢ - الجزء الثاني

هيفاء العرب

المرأة / الرجل (٢)

الصفات والتداخل

تابع مع نشر امس:

ان ضرورة توعية الصفات الكامنة في كل من المرأة والرجل يوضح حقيقة التداخل بين الكيانين، او ما يسمى بالتجاذب الذي لا يجد له المرء عادة التفسير في الحياة اليومية العادية. لكن المرأة والرجل عمل كلاهما على تنمية التجاذب الجسدي من دون مكونات الكيان الاخرى الا في شكل سطحي احياناً، مما ادى الى خلل في العلاقة بينهما، وظهر عدم التوازن في المعاملة وانكفأ جوهر الحب كنتيجة تفاعل بين الكيانين. فالحب على عكس ما يعتقد الكثيرون، لا ينحصر في الجاذبية الخارجية بين الرجل والمرأة، ولا ينمو بها. الحب تعلّم، اي ان كلا الرجل والمرأة ينبغي ان تكون علاقتهما سعياً الى التعامل الفكري والعاطفي والجسدي الواحد مع الآخر وذلك، بغية تحويل الانجذاب الى انسجام، فينمو الحب وتقوى جذوره في تربة الوعي ويتجه نحو الحب الكبير من خلال التجدد الدائم وصولاً الى العلاقة المتوازنة والمساواة التامة ومداها حرية وعي يتنامى يوماً بعد يوم .

قد تبدو هذه الصورة شبيهة بالمعادلات العلمية الجافة. فقد جرت المعادلة على وصف الحب بذلك الشعور العفوي الفطري الذي يتماوج فرحاً وتلذذاً .. ولا يملك المرء حياله الا الانجراف فيه والانصياع له. لكن بعدما يستفيق الحب من هيامه، وتصبح العلاقة تحديد مسؤولية وقرار ارتباط بالزواج، الا يلزم ايقاظ الارادة الفردية ووضع الحب في الاطار الفكري اللازم الذي يحدد مستقبل المرأة والرجل ومسؤوليتهما معاً ؟! ذاك ما يستدعي تقويم الحب وتطويره او تضميخه بالوعي ليتنامى نضجاً وادراكاً متوسعاً في حياة مشتركة. اما، لو اتجه الهوى والهيام الى الارتباط بالزواج بلا تخطيط واضح وتنظيم في توزيع المسؤوليات على الطرفين، والسعي الى بناء اسرة الى جانب المشاركة في كل ما يتطلبه الواقع الحياتي .. ففي غياب كل ذلك ينذر الواقع بخطورة الخلل الذي يهدد العلاقة بين الزوجين جراء المفاهيم التقليدية المتوارثة والتي مر عليها الزمن. وهذه حال المجتمعات الشرقية عامة. وجراء حرية هوجاء هي اشبه بالانفلات في المجتمعات الغربية وفي الحالتين يفتر شعور الحب بعد وقت ليس بطويل، وتبدأ النزاعات وتتفاقم وقد ينتهي الامر بالطلاق او بالهجر. فتجارب فشل الزواج تثبت ذلك، ومستشارو علم النفس يؤكدونه. لكن لسوء الحظ، احياناً كثيرة يسبق السيف العذل. فبأية مساواة ترانا نطالب ؟!

❖ ❖ ❖

في المجتمعات الغربية ادت انطلاقة الثورة الجنسية التي شهدتها الفتاة (الغربية) في الستينات، الى الاعتقاد انها ستساويها بالرجل، او بالاحرى ستحررها من «استعباد» الرجل لها ! لكنها اوقعتها في صراع التخبط والعشوائية بسبب اذلالها للحب. ظنت كأنها بتحرير جسدها حررت فكرها ... فيما العكس هو الصحيح. فالمسألة فكرية اولا واخيرا، مسألة اقتناع ذاتي يستند الى تحرر اقتصادي، يتقوى بالتعلّم والانفتاح، ويكتمل بهدف الحب. وها نحن نرى اليوم ازدياد عدد المرأة العاملة والمتحررة اقتصادياً في مجتمعنا الشرقي ايضاً: نراها نداً للرجل، تنافسه في الوظائف وفي معظم الاعمال التي كانت وقفاً عليه، تعيل عائلتها وتعيل الرجل في بعض الاحيان .

الم تحصل هذه المرأة العاملة (في اي مجتمع كان) ذات الحضور الفاعل في المجتمع على حقوق مساواتها بالرجل؟ لقد اكتسبتها، بل عرفت كيف تنتشلها من بين انياب الرجل .. فبدّلت نظرة الرجل اليها وجعلته يفرض احترامه لها، خاصة اذا كانت تفوقه رتبة وراتباً. امرأة من هذا النوع لا مشكلة لديها في حرية القرار، ولا في الحقوق والواجبات والمساواة مع الرجل، فها هي تمارسه بتعلمها ومهارتها ، اللذين فرضا وجودها ووضعاها في المكان المناسب، وحرراها من «شوفينية» الرجل ! ... فالتحرر بلا هدف يفسد الشخص الجاهل .. والحرية من دون وعي تؤدي الى انفلات ... والكبت يولد عقداً نفسية ويؤدي الى ثورة ... ولا فرق ان كان الشخص رجلاً او امرأة .

❖ ❖ ❖

معلوم ان الدول الغنية باقتصادها هي صاحبة الشأن وصاحبة القرار (الامر الناهي) على الدول النامية التي لا بد من ان ترضخ لكل متطلبات الدول الغنية للحصول على مساعداتها. واذا كان هذا الواقع حال الكثير من الازواج على الزوجات العاطلات عن العمل، فالى اي حد ينبغي ان نلومهم (الرجال) او نلقي اللوم عليهن (النساء)؟! علماً ان الكثير من النساء راضيات بهذا الواقع الذي لا مفر منه في نظرهن. ولو تجرأنا وعكسنا الصورة .. اي لو كانت الزوجة هي العاملة والزوج هو العاطل عن العمل، الا نرى الزوج يشتكي من تصرفاتها لانها هي الآمرة في المنزل ؟!

من جانب آخر، المساواة في الحقوق والواجبات كالاستقلال تؤخذ ولا تعطى. اي امرأة كأي رجل، ان احرزت العلم من غير ان تعمل وتتحرر اقتصادياً، فمن الصعب ان لم يكن من المستحيل ان تنتظر «دولة» الرجل وحدها لتمنحها حقوقها كاملة ! المساواة في الحقوق والواجبات عمل فردي يسهل على كل امرأة تحقيقه وحدها ان استكملت المستلزمات ... وفهمت دور الرجل في مشاركتها الحياة. وذاك ما نراه لدى رئيسات الجمعيات واللجان النسائية للدفاع عن حقوق المرأة، ولدى الاعضاء التنفيذيات في مجالس الادارة، وهن مشكورات على كل ما يقمن به . لكن، من ناحية اخرى، فان المرأة، اي امرأة، لا تسعى بنفسها، ولا تناضل ولا تكافح من اجل حقها، من العبث ان نطالب لها بحقها ومساواتها بالرجل. فالعديد من النساء لسن على قدر المسؤولية، بل مكتفيات بما هن عليه من رضوخ لمطالب الرجل. قد يكن غير كفوءات لاي عمل، او قد يؤثرن تمضية الوقت في الزيارات والاسراف على حساب الزوج، وربما يتحملن منه الكثير على مضض او عن طيب خاطر. اما مطالبتهن بالمساواة والحقوق فلن تتجاوز كونها مجرد احاديث اجتماعية ضمن جدران الصالونات ! فقد اسرّت لي احداهن بأنها، شخصياً، لا تحبذ مبدأ المساواة. فالرجل (بحسب مفهومها) سيتوقف عن فتح باب السيارة لها ... ولا يعود يساعدها في ارتداء معطفها ... او يقدم لها مقعده .. او يفسح لمرورها قبله احتراماً لها .. الخ ... وتلك التصورات اقل مما توصف بأنها اضغاث احلام انوثة واهية !!! ولنعترف بصراحة، بأن هذا حال عدد لا يستهان به من النساء، على هذا النحو او ذاك ... فاحترام الرجل لانوثة المرأة تستشفه المرأة في الدقائق الاولى من اول لقاء ... في حين ان اعجاب المرأة بالرجل لا يكتشفه الرجل الا بعد لقاءات عدة. عدا ان تقدير الرجل للمرأة الواعية يضفي حباً متزايداً واحتراماً اضافياً لها. والعكس صحيح كذلك.

❖ ❖ ❖

فيا ايها الرجل، نحن بنات حواء الواعيات، نعلم علم اليقين ان المساواة الكاملة لا نتوقعها منك هبة .. ولا هي تؤخذ بعقد المؤتمرات والقاء الخطابات الرنانة والتظاهرات الصاخبة ورفع الشعارات ... هي دليل كفاءة ونتيجة مسؤولية تحقق طموحات حقوقنا، والمسؤولية وعي في تطور ذاتي، والوعي عقيدة ايمان ودستور فردي على اساسه تشرع دساتير الدول وتسن انظمتها ... ثم يصار الى تعديلها او تغييرها الى الافضل مع ارتقاء وعي الشعوب.

آنئذ سنفرض وجودنا الفاعل على دولة الرجل، وسنحصل على المساواة الكلية والاستقلالية التامة عن طيب خاطر الرجل، بل ان دولة الرجل ستقدمها لنا بامتياز ! لاننا نكون قد برهنا بالوعي والتطور عن جدارتنا واستحقاقنا. وسنعيد النظر معاً (رجالاً ونساء) في قوانين الاحوال الشخصية وفي جميع الانظمة الاجتماعية والاعراف والتقاليد ... الى جانب كل ما يحد من انطلاقة المرأة نصف الحياة انطلاقتها بحكمة الوعي وهدف الحكمة في حرية القرار .

صحيح ان لا سعادة تضاهي سعادة الحب ان تحول الى شعور بالانسجام الداخلي. فالحب من غير الانسجام (كما يقول كتاب «المرأة والرجل في مفهوم الايزوتيريك») يبقى مشاعر نفس واحاسيس جسد ... فيما الانسجام سعي فكر وارادة وعي . فانسجام الحبيبين ينعكس تلقائياً بين افراد العائلة، ويتوسع في المجتمع. انه شعور بالاكتفاء والثقة، الامر الذي يطلق الفكر في ابعاد جديدة مبتكرة، ويحرره من اوهام المشاعر. كذلك المشاعر ترتقي بالحب فتستكين وتصفو وتحقق ما يسمى السلام الداخلي. ولولا معرفة الايزوتيريك للكيان الانساني حق المعرفة لما امكنه وضع اسس المساواة والعلاقة السليمة بين المرأة والرجل تحضيراً لمستقبل متطور انسانياً. ويتوسع الكتاب في اسباب ظهور عقدة المفاضلة لدى الرجل ... وكيف نشأ توهمه بتفوقه ... كذلك التكوين الجسدي والنفسي والباطني لدى الرجل والمرأة، موضحاً اسباب اختلاف وعي الباطن لدى كل منهما ... وملقياً الضوء على الصفات الايجابية والصفات السلبية لديهما، الى ما هنالك من مواضيع حياتية وعملية تهم كليهما في اصول الحياة الزوجية والتربية السليمة لبناء الاجيال الصاعدة. ثم ينتهي الكتاب الى المستقبل، مستقبل الوعي ... مسلطاً اضواء كاشفة، وغريبة في الوقت عينه .. لم يجرؤ احد على تناولها من قبل .

❖ ❖ ❖

اقل ما يقال في كتاب «المرأة والرجل في مفهوم الايزوتيريك» انه تطرق الى مواضيع دقيقة لم يسبقه احد اليها ... بسّطها وعالجها في منطق الوعي وفي اسلوب عملاني حياتي» ... النقص في الوعي هو الذي اوجد عقدة المفاضلة والتفوق الذكوري، مما سبب خللاً في التوازن البشري»، على ما يذكر الاب يوسف يمين في مقدمته الاولى للكتاب، مضيفاً» ... الوعي هو الطريق الوحيد الذي يؤدي الى التكامل فالكمال». ولا تتحقق المساواة الا بالوعي، وعي المرأة لدورها الى جانب الرجل، ووعي الرجل لدوره الى جانب المرأة. وهذا الوعي يكتسب بالتعلم والتثقيف والانفتاح الفكري على حس العدالة، لفهم المساواة وصولاً الى حرية القرار، مقومات الشخصية الواعية هدفها في الحياة .

(مهندسة معمارية)